كلمتي الوجيزة في النقد

أنا مشترك بهذه المجلة المغربية الغراء اطالعها بلذة حين الفراغ ، فوقع بصري في عددها الصادر بشهر يوليو على صفحة ١٢ منها ، وفيها مقالة انتقاد طويل عريض بزهاء ٥ صفحات كبيرة ، وعنوانها (لذعات بريئة . . . هل يسمع شعراؤنا ؟) فاستاذنت مديرها الرحب الصدر السيد محمد الصالح ميسة بكتابة هذا الردّ الوجيز ، فأجابني : نعم بطيبة نفس فشكرته ، والمنتقد المسمى (ابن عباد) انتقد على الشاعرين الاديبين هما سيادة نقيب الاشراف العلويين الشريف السيد عبد الرحمان بن زيدان الكاتب المجيد والمؤرخ المفيد الفاضل الرزين المحب للسلم والسلام لا للنقد المرّ والخصام ، والثاني هو الفقيه الاديب السيد عباس الشرفي الذي لم يساعدني الحظّ بمعرفته كما تشرفت ذات يوم بتحية الشريف السيد الزيداني ولذلك فردّي على نقد ابن عباد هو مجرّد من التحزب والتعصب الادبي ، فلا أمسك القلم لجرّ مغنم لي من ذينك السيدين اللذين ادافع عنهما ولا لفائدة لي مادية ولا أدبية ، فلا اقصد بكتابتي هذه تبييض وجهي وتسويد وجه ابن عباد ، فان اقصى أمانيّ العدل والحق وحسم مادة الخصومة ، وأنا على يقين ، من أن كثيرين من عقلاء المغرب الكرام وشيوخه الفضلاء يستصوبون كلمتي هذه ، وربّ رهط من الشبان شبان هذا العصر الجديد المليح والقبيح السديد والعنيد الوسيم والاثيم يستخفون بكتابتي هذه مدّعين أني خرجت عن الموضوع ولم آخذ مقالة ابن عباد وأرد على ما فيها ، فاجيب ان قصر الوقت وكثرة الاشغال لا يسهلان عليّ كتابة عدّة صفحات للردّ على الناقد ، والكلام ما قلّ ودل ، وكلامي ليس ردّاً محضاً على عبارات المنتقد بل هو كلام مجمل عام ، فاعلم أيها الناقد الاديب أن المغرب ليس بباريز وباريز ليست بيروت والمثل الشائع في الشرق هو كل بلد لها زيّ وكل شجرة لها فيء أي ظل خاص بها ، فالمغرب عوائد حميدة قديمة متوارثة فيجب على ابن هذا الجيل أن يراعيها ويحافظ عليها ، والمغرب لا يطيق ولا يحتمل اليوم الانتقاد المرّ الغليظ وربما احتمله الباريزي اكثر من البيروتي والبيروتي اكثر من العراقي وهلمّ جرا وربما قبله ورضي به المغرب بعد خمسين عاماً ولا يقبله اليوم ، فالمغرب هو عندي وعند غيري من المفكرين مثل شاب ظريف لطيف شجاع جسور بسنّ العشرين عاماً ، فدع هذا الشاب يبني بيت آدابه وعلومه بيده وبمساعدة علماء فرنسا الافاضل واتركه يروي صدره من مناهل العلوم الصافية والمعارف والفنون الكافية الوافية وخله يتمرّن زمناً أطول على حسن الكتابة نثراً وشعراً ، واجتهد يا هذا بادئ بدء في ان تستميل قلبه اليك ليثق بك فالثقة هي كنز ثمين ، ليثق بك وبمودتك وبحبك لخيره وصلاحه الادبي ، وبعد أن يثق بك وبحسن نيتك وصفاء سريرتك ويتأكد شاعره وناثره انك صديقه لا خصمه يقبل حينئذ نصائحك ويصغى الى انتقادك ويستفيد منه وربما يشكرك ويثني عليك على جودة نقدك المفيد ، ولكنك يا ابن عباد فاجأته بكتابتك مفاجأة مدهشة غليظة مسهبة الشرح بانتقادك المر ، فذكرت اسم الشاعر وشهرت قصيدته بما ليس فيها حال كون اسمك المستعار مجهولاً عندنا مخفياً وراء الستار ، وما قصدك يا ترى من الانتقاد أتوثيق عرى الصداقة بينك وبين الشاعرين الاريبين أم فتح باب التنافر والتجافي في عصرنا هذا عصر الهموم والغموم والتباغض والتشاتم ، فما أحوجنا اليوم الى المصالحة والمسالمة والسكون والهدو ، ورب شاب

(بلاشوارب) هو ابن أمس .بالكتابة يعترض علي قائلاً : فلان نشر قصيدته وأذاعها على الجمهور وعلى البشر كلهم أجمعين أكتعين ، والحال كل كاتب يظهر كتابته ويعلنها على صفحات الجرائد عرضها للانتقاد وجعلها هدفاً لسهام الاقلام كأن القصيدة أصبحت ملكا لكل انسان يتصرف فيها كما يشاء سلخاً ومسخاً ونقداً ومدحاً وقدحاً ، فجوابي أن هذا القياس هو عندي أنا فاسد والكلام مردود وهو ماخوذ من الاجانب ومسروق من منطقهم الاعوج ، نعم يجب على كل كاتب أن ينتقد على البشر كتاباتهم البذية الشنعاء المضرّة .بالنفوس والاجساد وهي علة هبوط الفرد والجماعة والامة الى دركات الذل والعار ، وعلينا أن نذم ونهجو بشدة وجسارة أفاعيل بعض الناس في صروح التصاوير المتحركة (السينما) وملاهي تمثيل الروايات المفسدة الخلاعية وعلينا أن نصعق بصاعقة غضبنا تلك الاجسام السابحة في البحر بنصف عري وبأخف ستر يسترها وهي وا أسفي أجسام صغار وكبار من الجنسين ، وينبغي لنا أن نهجو أصحاب الخطب والمقالات السياسية المضرمة في الممالك نيران الفتن والثورة والحروب .

وقصارى الكلام فعلى الكاتب المغربي اليوم أن يبني بيت آدابه وعلومه النافعة بيده ويحافظ على كنوز أجداده من العوائد الحميدة كالحياء والحشمة والرزانة ، وربّ معترض يقول : لم يقصد ابن عباد تحقير الشاعرين فهو يحترم شخصيهما ويجلهما ويحرص على صيانة حرمتهما وصيتهما وسمعتهما بين الناس ، نعم أنا أفهم هذا ولكن(تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) سبحان الله ، متى كان الشخص مفصولا عن شعره وكلامه وأفكاره وأفعاله ، أما تعلم أن العرب قالوا المرء مفتون .بابنه وشعره : وقالوا (بنات الافكار) فكيف .يا ترى تحقر بناتي أي أفكاري ولا تحقر شخصي فلو ضربت حيواني لاغتظت منك ، ولو شتمت ولدي لمتك ، كذا قل عن كلامي فهو عزيز علي كولدي وهو ثمرة قلبي وعقلي فلا أدعك تدوس برجلك أثمار بستاني ، وقالت العرب في كتب الادب (المعاني والبيان) : يجب أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، والحال ناظم القصيدة هو رجل شريف فاضل محترم ، وموضوعها جليل ديني مكرم ، والممدوح هو جلالة السلطان المعظم ، وهي مؤلفة من مديح وتهنئة وعواطف سامية وأفكار عالية ، أيليق .بابن عباد أن يجعلها هدفاً لسهام قلمه ومرمى لنقده الخشن بعد ما استحسنتها الحضرة الشريفة واصغت الى انشادها واستظرفها رجال المخزن السعيد ووجدتها أنا جيدة عالية النفس حسنة السبك ذات أبيات جميلة ، وأشعر الشعراء المتقدمين والمحدثين تركوا لنا أبيات شعر ضعيفة مبهمة ركيكة عدمها خير من وجودها .

هذا واني لا أتصدّى بكتابتي هذه لمقالة ابن عباد بعينها لابين عيوبها الغير القليلة ولكني تحرّيت الفائده الادبية والخير الاجتماعي والسلم والسلام ، هداني الله العظيم سواء السبيل بمنه وكرمه .

صديق

***

في كلمة واحدة

نشرت « مجلة المغرب » تحت عنوان « هل يسمع شعراؤنا ؟ » مقالاً .بامضاء « ابن عباد » حاول صاحبه نقد الشعر والشعراء .بالمغرب ، والنية حسنة جدا وشعرنا في احتياج كبير الى الغربلة ، وان وفق ابن عباد في النية فقد اخطأ في اختيار المنتقدين خصوصاً في أول مقال ، فاختياره للفقيه الشرفي وللشريف ابن زيدان ليس في محله ، فلا الشرفي ولا ابن زيدان من الشعراء حتى يستوجبا النقد

وأظن أنهما يعترفان بذلك معنا ، وكان الاجدر بابن عباد أن يختار لنقده مثل شاعر الحمراء والسيد علال الفاسي والسيد عبد المالك البلغيثي والشاعر المطبوع وغيرهم من الشعراء حقاً بدل أن يبدأ بفقيه ومؤرخ قد يحسنان قواعد النظم والعروض ولكنهما لم ينتحلا قط لقب شاعر .

ابن عمار

— نشكر لـ(صديق) تفضله بارشادنا الى ما يراه صواباً ، ولسنا على رأيه في بعض الملاحظات ، فقد خيل اليه أن بالمغرب طائفتين منفصلتين طائفة الشباب وينسب اليها النقد وطائفة الشيوخ ويظن أنها تستنكر النقد وعلى هذه النظرية بنى مقاله ، وليس في الاصالة تباين بين الشبان والشيوخ وليس فيها فرق ما بين طبقات الامة ، والكل على رأي واحد في ضرورة بعث الادب من مرقده وترقية اساليب التفكير بسائر الوسائل . ولم نفهم ما كتب الكاتب عن المخزن الشريف ، وادخاله في قضية أدبية خاصة وعلى أي حال فان النقد ضروري للادب وكيفما كان فكر (صديق) فان كتابنا يخالفونه ، ومن الرسائل التي وصلتنا نقتطف هاته الجملة جاءت في كتاب لاحد رجال النهضة البارزين بقطر شقيق وفيه كفاية :

« قرأت في العدد الاخير الفصل الذي عنوانه « لذعات بريئة ... » فأعجبني كثيراً ولقد بلغ الناقد ابن عباد في فصله هذا غاية الابداع وعساه اذا استمر على نشر هذه « اللذعات البرئية » ينفض عن الادب العربي الحاضر في المغرب الاقصى وفي الجزائر وفي تونس غبار الكسل والخمول ويكسر عنه القيود والاغلال ويحدوه أن يؤدي مهمته على الوجه المستحب وان مهته لعظيمة جداً

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناة المعالي كيف تبني المكارم »

هذا ولدينا المقالة الثانية من السلسلة التي وعد بها ابن عباد والزمنا افساح المجال للرد ارجاءها للعدد المقبل وسيرى فيها (ابن عمار) و (صديق) أن ما لاحظاه لم يكن ليخفى منه شيء على مثل مساعدنا النبيل .

الادب الباكي والادب الضاحك

كان الاديب السوري السيد السمان القى بنادي طلبة شمال افريقيا المسلمين ببارز محاضرة قيمة في موضوع يشغل افكار كتاب اللغة العربية منذ سنين وهو ـ الادب الباكي والادب الضاحك ـ أو أدب القوة وأدب الضعف ، ونشرنا في العدد الثامن عشر من المجلة نبذة من ملخص هاته المحاضرة بقلم الشاب الاديب السيد عبد المجيد حجي ولم يتيسر لنا نشر بقيته في الاعداد بعد ، والى القراء ملخص صديقنا حجي مع اعادة نشر النبذة التي سبق زفها للقراء ليسهل عليهم تتبع الموضوع بتمامه :

ليس بخاف على القارئ ما حدث في نفوس الشباب يوم سمعوا القطعة الشعرية للاستاذ بشاره الخوري المدعو بالاخطل الصغير ، والتي غناها بصوته الملائكي الاستاذ محمد عبد الوهاب :

الهوى والشباب والامل المنشو

د ضاعت جميعها من يديا

إلى أن يقول :

يشرب الكاس ذو الحجا ويبقى

لغد في قرارة الكأس شيا

لم يكن لي غد فأفرغت كأسي

ثم حطمتها على شفتيا

هنا كان اول من اعلن هذه الثورة الادبية اديب وفيلسوف لبنان الاستاذ الكبير امين الريحاني حيث وقف خطيب طلاب الجامعة الوطنية ـ بعاليه ـ وقال : « في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة المترهلة بل القلوب

— دواء —

الم الاسنان — ووجع الرأس

ونزلات البرد

والرماتسم

اسبيرين

« معامل الرون »

اشهر من ان يعرف بها

ـ تباع في سائر الصيدليات ـ